

زواج مبارك

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتَّقوا الله - عباد الله - حقَّ التَّقوى؛ فتقوى الله طريق الهدى، ومخالفتها سبيل الشقاء.

أيها المسلمون:

الأسرة أساس المجتمع، منها تنفَرَق الأمم وتنتشر الشعوب، نواة بنائها الزوجان ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحُجُرَات: ١٣]، والشريعة مبناها على الحِكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، دعت الشَّباب لإعفاف أنفسهم بالزَّواج، قال ﷺ: «يا معشر الشَّباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، فإنه أغضَّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصَّيام فإنه له وِجاء» (متفق عليه).

حثَّ الدِّين على اختيار الزَّوجة الصَّالحة ذات الخُلُق الرَّاقي والتعامل الهادي، لا ترفع صوتاً ولا تؤذي زوجاً، والسُّؤال عن حال الخاطب والمخطوبة أمر لازم لبيان ما قد يخفى في أحدهما من مثالب قاذحة،

وعلى المسؤول الصدق في الجواب، والبيان بكل وضوح وأمانة، بإبداء خوافي المحاسن والمساويء، وكتمان معايب أحدهما عند السؤال ضرب من الغش للمسلمين.

وإذا عزم الخاطب على الخطبة أٌبِيح له النَّظَرُ إلى مخطوبته بحضور محرّمها دون خلوة بها، من غير تدليس عليه في زينة أو تَجَمُّل، يقول عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «إِذَا خَظَبَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَلْ» (رواه أبو داود). وليحذر الخاطب قبل العقد الخلوة بمخطوبته، أو الحديث معها بمهاتفة الاتّصال، أو إلباس المخطوبة خاتماً، أو مسّ جسدها، أو الخروج بها من دارها، فإن ذلك من المعاصي وركضة من الشَّيْطَان يُغْوِي بها الخاطبين، وكثيراً ما تتبدد أحلامُهما بتلك السيئات.

والإسلام دينٌ عدلٍ وعطفٍ أمر الشَّباب بالزَّواج، وحثّ على تيسير مهره، وإذا قلَّ المهر علت المرأة، وشرفت عند الزوج مكانتها، وزادت بركتها يقول عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةٌ أَيْسَرُهُنَّ مَوْنَةٌ» (رواه أحمد)، وأثرياء الصحابة لم يغالوا في مهورهم، يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: تزوجت على وزن نواة من ذهب، ولما علم النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صداقه قال له: «بَارِكْ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ» (رواه البخاري)، والمهر حقٌّ للمرأة لا يجوز للأبَاء أو الأولياء اختصاصهم به، قال سبحانه: ﴿وَأَنْتُمْ أَلْسَاءٌ صَدَقْتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤].

وجمال المرأة في سترها، وبهاؤها في حياتها، ورونقها في عفافها، والإسلام جاء أمراً بستر المرأة، وبعض النساء يقعن في المحرمات في مواطن الفرح، فتَجَوَّزَ لِنَفْسِهَا مَا ضَاقَ مِنَ الْمَلْبَسِ، وأخرى تلبس ما رق منه مما لا يستر جسدها، ومنهن من تبدي شيئاً من ساقها وفخذها، ومنهن من لا تستر أعلى جسدها، يزيّن لهن الشَّيْطَانُ سوء عملهن، والمرأة لا يحل لها أن تبدي للمرأة إلا ما أٌبِيح كشفه أمام محارمها من

الرجال مما جرت العادة بكشفه في دارها من الرأس والعنق وأطراف اليدين وأطراف القدمين، ولا تبدي المرأة عند النساء أكثر من ذلك، ومن النساء من تكشف عورتها لامرأة أخرى لإزالة خوافي شعر جسدها وهذا منكر غليظ، وخديعة للزوج، وضياح لحفظ حقّه في غيبته، فيه اطلّاعٌ على العورات، وعليها وعيد من ربّ العالمين، يقول عليه الصّلاة والسّلام: «أيّما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها، فقد هتكت سترها فيما بينها وبين الله» (رواه الحاكم).

والدين وسطٌ في الإنفاق بين الإسراف والتّقدير، يعلن النّكاح ولا يقع في المحذور، ومن النساء من تتباهى في زينة الملبس والتبرج والتجمل، تُبدد الأموال وتهدر الأوقات بشهرة زائفة أو رياء ممقوت، واحذري - أيّتها المرأة - من الخيلاء في الملبس، فقد قال عليه الصّلاة والسّلام: «بينما رجلٌ يمشي في حُلّة تعجبه نفسه، مُرَجِّل رأسه، يخال في مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة» (متفق عليه).

والمرأة المسلمة متميّزة بزينة ملبسها وشعرها، بعيدة عن تشبهها بالرجال أو غير المسلمين، وتشبهها بغير جنسها يعرضها للوعيد، وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال، ولكلّ جنس من الرجال والنساء خصائصه وأحواله وملبسه وزينته، المرأة تفخر بأنوثتها، والرجل يعتزُّ برجولته، وفي التقليد ضعف في النّفس، وعدم رضا بالخصائص، ونقص في إدراك حكمة الخالق.

وحوجب العينين زينة من ربّ العالمين، وبعض النساء تعمد إلى إزالة بهاء وجهها وجمال عينيها بنتف حواجبها، وقد لعن الله من أزالت شعر حاجبها، يقول عليه الصّلاة والسّلام: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمّصات» (متفق عليه)، وبعض الناس لضعف في النّفس مولع بالتقليد يضاهي غيره حتى في أفراحه، والرجل محرم عليه رؤية المرأة الأجنبية في النّكاح وغيره، ودخول الزوج ليلة الرّفاف على النساء

الأجانب، وجلوسه على علو مع زوجته، وهو يتطلع إلى نساء المسلمين بكامل زينتهن منكر رذيل، يقول النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالذُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» (متفق عليه).

وجلوس الزوج مع زوجته أمام النساء تقليد مقيت، دافعه الهوى وظاهره الخيلاء وثمرته الشُّقَاء، فما حال الزوجين أمام النساء وهن ينظرن إليهما، والناظر للزوجين ما بين شامت في الخلقة وما بين حاسد على النعمة، تقول فاطمة رضي الله عنها: «خير للمرأة أن لا ترى الرجال وأن لا يراها الرجال»، وإرخاء ذيل طويل يحمل خلف الزوجة ليلة زفافها تشبهُ بغير المسلمين حرامٌ عليها فعلة.

والمعازف والغناء لا تدني من الربِّ، ومن أسباب قسوة القلب، حجاب كثيف عن الرَّحْمَن، وما يفعله بعض النَّاس من المعازف ليلة التُّكَّاح جحود لنعمة الله وعصيان له، ومن السَّرْف استئجار عازفة للغناء، لعصيان ربِّ العالمين في دجى السحر زمن نزول العظيم جلَّ جلاله إلى السَّمَاء الدنيا والعُبَاد في محاربيهم.

والمسلم حرام عليه حضور مناسبة فيها منكر، قال الأوزاعي: «لا تدخل وليمة فيها طبل ومعازف». وفي أحكام الإسلام غُنْيَةٌ عن الحرام، وديننا أباح ضرب الدَّف للنساء خاصة في وقت من الليل بكلام لا محذور فيه. والتصوير من كبائر الذُّنوب موجب للعنة والغضب، قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «لعن الله المصوِّر» (رواه البخاري)، والمصوِّر أشد الخلق عذاباً، قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «أشدُّ النَّاس عذاباً يوم القيامة المصوِّرون» (متفق عليه). وتصوير النساء يجني مفاسد وخيمة، وقد تسري صور النساء إلى غير المحارم من الرِّجال، فتنهار بذلك بيوت، والأب اللبيب من يمنع زوجته وبناته من ورود أماكن التصوير.

والعدل في المأكل والمشرب وعدم البَدَخ، فيه دأب الفضلاء وسنة خير البشر، تصف صافية رضي الله عنها وليمتها بقولها: «أولم النبي ﷺ على بعض

نسائه بمُدَّين من شعير»، ومن مجانبة الصَّواب: أن تكون مبذراً في الزَّواج شحيحاً في البذل في أوجه الخيرات، وتكرار ولائم مناسبات النِّكاح في ظاهرها أفراح وفي حقيقتها على الزَّوج أتراح، للخطبة وليمة، وفي يوم إلباس المخطوبة خاتماً من قبل خاطبها مأدبة، - ووضعه في يدها محرم -، ولليلة عقد النِّكاح دعوة، وفي ليلة الزَّفاف مآكل ومشرب متنوعة، كل ذلك إرهاق لمؤنة الزَّوج. هل من يسعى لبناء بيت زوجية محاط بالسُّتر والعفاف تُستنزف أمواله؟! أم تخفف عنه الأعباء لإضافة لينةٍ صالحة في المجتمع؟

إنَّ الاكتفاء بوليمة واحدة ليلة الزَّفاف أحبُّ للزوجين وأسلم وأكمل وأوفق، والله عزَّ وجلَّ جعل الليل لباساً والنوم سباتاً، والنَّبِيُّ ﷺ «كان يكره النَّومَ قبل العشاء والحديث بعدها» (متفق عليه)، ولحظات الفرح يظهرُ التعبير عنها من غير سهر فاحش، وإعلان النِّكاح لا حاجة إلى امتداده إلى السَّحر، وساعات في أول الليل غنية عن جميعه.

وبعد: أيها المسلمون:

فمن أسَّس بنيانه على التَّقوى أزهى وأربى، ومن أحاطه بالمحرمات أذن بحلول الشَّقَاء، والزَّوجان يكتويان بلظى العصيان ليلة زفافهما، يقول الفضيل بن عياض - رحمه الله -: «إني لأعصي الله فأرى ذلك في خُلُق امرأتي ودابتي»، والمرأة الحاذقة لا تزلزل بيتها بمعصية الله أول ليلتها، فالذُّنوب تعسر الأمور وتوحش القلب بين الزَّوجين، وكلما كان الزَّواج أقرب إلى الصَّواب كان أحرى بالتوفيق، وجملة المخالفات في النِّكاح داعيها عقدة الشعور بالعجز والنقص، وبعض النَّاس قد لا يدرك حقيقة النكاح فيظن أن من مستلزماته البذخ والتفنن في المآكل والتباهي في الملابس وليس الأمر كذلك، بل النِّكاح عقد موثق غليظ بين زوجين لا يُشاب بخطيئة ولا يُعرض للانهياب بمعصية.

وعلى الآباء أن لا يُرخوا العنان للنِّساء بارتكاب المعاصي بما يزيد

النَّكاح عقبات، والمرأة مستضعفة إن لم تؤخذ بيد وليِّها جنحت مع نفسها بهواها، وعلى النساء الإذعان لأوامر الله وعدم الوقوع في المحرمات، وعلى المرأة أن تشتغل بمعالي الأمور بإصلاح قلبها في طاعة ربِّها، فموطنها أم وراعية أسرة وموجهة ينبغي أن تعلي من فكرها وترقى باهتماماتها، فالיום عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾

[فُصِّلَتْ: ٤٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون:

الإسلام منبع الحضارة والسؤدد، التمسك به يثمر الرقي والتقدم. يبني الأمم وينشيء الأجيال بأمثل السُّبل. يسر مسالك النكاح ودروب المودة بزواج سعيد يُبهج الزوجين وأهلهما ويسر المجتمع. يختار الزوج امرأة ذات دينٍ وخلقٍ راقٍ وأدبٍ رفيع، وإذا تقدم خاطب كفؤ متسم بالدين والخلق لم يُرد، وبعد استشارة لذوي النُهي واستخارة وعزم على الاختيار يرى الخاطب مخطوبته بحضور محرمتها، ومع انشراح صدر وتوكل يُعقد النكاح، وفي ليلة الزفاف فرح معتدل لا مباحاة فيه ولا مفاخرة، يعلن فيه النكاح ويدعى إليه، ويصنع طعام بقدرهم لا إسراف فيه ولا تبذير، وتُزف المرأة إلى زوجها.

والمرأة الواعية ذات العقل الرَّاجح والرُّوح السامية تسعى إلى منع المحرم في زواجها لعلمها أن المعصية لها أثر على حياتها مع زوجها. والإسلام يسر النكاح وسهل أبوابه على الشباب، فنبى الله ﷺ تزوج صفية رضي الله عنها وهو في سفر، يقول أنس رضي الله عنه: «حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم رضي الله عنها فأهدتها له من الليل فأصبح النبي ﷺ عروساً».

ومن قبائح الصَّنائع تأخير الأب تزويج ابنته مع تقدم الكفء لها أو حجرها على ابن عمها.

واعلم - أيها الأب - أنَّ ابنتك مستضعفة في دارك، منعها حياؤها من إبداء مكنون نفسها، تصبح أسيفة وتُمسي حزينة. تتألم من دخول بوابة العنوسة، والمرأة زهرة لها زمن قصير ثم تذبل، ومن الهدى القويم تزويجها في سن مبكر، ولا غضاضة في عرض الرجل ابنته أو أخته على الرجل الصَّالح وهذا من تمام الرعاية والقيام بالولاية، وقد عرض عمر الفاروق رضي الله عنه ابنته حفصة رضي الله عنها على عثمان رضي الله عنه فردها وما غضب، فعرضها على أبي بكر رضي الله عنه فردها وما أيس، فعرضها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتزوجها (رواه البخاري)، ومنع الآباء الخاطب ذا الدين والخلق مخالف لأمر الشريعة، يقول عليه الصلاة والسلام: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (رواه الترمذي).

فالرشد في اتباع الهدى، واللبيب من رجا السعادة من أبواب الطاعة.

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيه . . .